الرسالة

(غلاطية ٦: ١١–١٨)

يا إخوةُ انظروا ما أعظمَ الكتاباتِ التي كتبتُها إليكم بيدي* إنّ كلَّ الذينَ يريدون أن يُرضُوا بحسَبِ الجسَدِ يُلزمونكم أن تختتنوا وإنّما ذلكَ لِئَلاّ يُضطهَدوا من أجلِ صليبِ المسيحِ* لأنَّ الذينَ يختَتِنون هم أنفُسهم لا يحفَظون الناموسَ بل إنما يُريدون أن تَختتِنوا ليفتَخروا بأجسادكم* أمَّا أنا فحاشى لي أن أفتخِرَ إلاَّ بصليبِ ربِّنا يسوعَ المسيحِ الذي بهِ صُلبَ العالمُ لي وأنا صُلبتُ للعالم* لأنَّهُ في المسيح يسوعَ ليسَ الختانُ بشيءٍ ولا القَلَفُ بل الخليقةُ الجديدةُ* وكلُّ الذينَ يسلُكُون بحسَبِ هذا القانون فعليهم سلامٌ ورَحمةٌ وعلى إسرائيلَ اللهِ* فلا يجلِبْ عليَّ أحدٌ أتعابًا فيما بعدُ فإنّي حاملٌ في جسدي سماتِ الربِّ يسوع* نعمةُ ربِّنا يسوعَ المسيحِ مع روحِكم أيُّها الإخوة. آمين.

مفهوم الصليب لدى الرسول بولس

إنّ كلّ من يمعن النظر في الكتب الإلهية لا بد وأن يلاحظ مركزية فكرة الصليب التي تتجلّى فيها: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني» (لوقا ٢٣:٩). غير أنّ كتابات الرسول بولس تحتلّ، من دون أدنى شك، الصدارة في التعبير عن سرّ الصليب الذي تعيّد الكنيسة المقدّسة لرفعه في الرابع عشر من أيلول. إنّ فكرة الصليب ترتبط عند الرسول بولس ارتباطًا وثيقًا بالمسيح المصلوب عليه. فالصليب يستمدّ أهميّته اللاهوتية من المعنى الذي ينشأ من موت المسيح عليه. ولكنّ المسيحية، كما نقلها إلينا الشهود الأوّلون، لا تعرف فصامًا بين التعليم اللاهوتي والسلوك الأخلاقي. لذا، فإنّ مركزية الصليب لا تكمن في مجرّد كونه رمزًا للحدث الجلل الذي تمّ بواسطته، أي موت ابن الله المتجسد، بل في كونه أيضًا البوصلة التي يهتدي بواسطتها المؤمن في مسيرته. ولعل هذا هو معنى دعوة السيد أن يحمل أتباعه الصليب «كل يوم» ومعنى قول الرسول «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ» (غلا ٢:٢٠).

هذان العنصران، التعليم اللاهوتي والسلوك الحياتي، نجدهما مرتبطين أشدّ الارتباط في مقطع من الرسالة إلى أهل فيليبي يُطلق عليه الشرّاح، في العادة، اسم نشيد فيليبي. هنا، يتوجّه بولس إلى مؤمني هذه الكنيسة داعيًا إيّاهم إلى اتّخاذ «فكر» المسيح «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسةً أن يكون معادلاً لله، لكنّه أخلى نفسه آخذًا صورة عبدٍ صائرًا في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب، لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبةٍ ممّن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنّ يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله للآب» (في ٢: ٥–١١). لقد أثبت مفسرو العهد الجديد أنّ رسول الأمم استخدم هنا في وصفه ما قام به يسوع، نشيدًا مسيحيًّا كان يُستعمل في ليتورجيا الكنيسة الأولى، لكنّه أضاف عليه عبارات أهمّها «موت الصليب»، ونتبيّن ذلك من كون هذه العبارة تخالف الإيقاع الشعري

العدد ٢٠٠١/٣٦
الأحد ٩ أيلول
الأحد قبل رفع الصليب
تذكار القديسَين الصِدّيقين جدَّي المسيح الإله يواكيم وحنة
والقديس الشهيد سفريانوس
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الثالث

الأصلي للنشيد. بولس يودّ، إذًا، أن يشدّد على أنّ الصليب كان ذروة المسيرة التي انتهجها ابن الله، والتي يعبّر عنها المقطع الكتابي بعبارتي «أخلى ذاته» و«وضع نفسه». فالسيّد، رغم مساواته لأبيه، لم يأنف من أن يتنازل إلى المستوى البشري الوضيع. واللافت أن بولس يعبّر عن هذا بقوله إنّ السيّد أخذ «صورة عبد»، والمعروف أنّ الصلب في الإمبراطورية الرومانية كان عقاب العبيد، إذ كان من غير المسموح إلحاق هذا النوع من العار بالمواطنين الرومان الأحرار. تنازُلُ الرّب هذا،الذي بلغ أوجه بالموت على الصليب كاللصوص والعبيد،هو الذي أصبح نموذجًا للمؤمنين. فهؤلاء مدعوون إلى أن يعكسوا في حياتهم وعلاقاتهم بالآخرين نكران الذات هذا الذي عبّر عنه الرب في موته على الصليب، بحيث يستطيعون أن يردّدوا مع الرسول أنّ المسيح هو الذي يحيا فيهم.

قد يقول قائل: «ولكن ما دور القيامة في كل هذا؟ ألسنا كنيسة تنادي بالقيامة وتعيش منها؟» نحن نتعلّم من نصوص العهد الجديد والتسابيح الليتورجية التي نردّدها على مدار السنة أنّ موت السيّد وقيامته لا ينفصلان، أي أنّهما وجهان لحدث واحد: «لصليبك أيها المسيح نسجد ولقيامتك المقدّسة نسبّح ونمجّد... إنّ صليبك لهو حياة وقيامة لشعبك». ولا شكّ في أنّ الرسول بولس، في تشديده على فكرة الصليب، يدرك هذا تمامًا ولا يريد التقليل من شأن القيامة. فالحياة التي يتكلّم عليها عندما يردّد أنّه يحيا،لا هو،بل المسيح،إنّما هي نابعة من قيامة السيّد، وليس رفع الله الآب ليسوع في المقطع المذكور أعلاه من الرسالة إلى أهل فيليبي إلا تعبير آخر عن القيامة. ويعرف بولس، فضلاً عن ذلك،أنّ بشارته كلّها باطلة إذا لم يكن المسيح قد قام (١كور١٥:١٤). ولكنّه في تركيزه على الصليب إنّما يريد التشديد على أن لا طريق آخر نحو القيامة إلا الصليب نفسه. هذا هو النهج الذي سلكه المخلّص، وهذا هو النهج الذي على المؤمنين أن يسلكوه، ولو بدت البشارة بالمسيح المصلوب «لليهود عثرةً ولليونانيين جهالةً» (١كور ١: ٢٣).

لم يختبر بولس، خلال رحلات الكرازة التي قام بها، الصليب في جلده فحسب، وذلك في الأتعاب والضربات والسجون والجوع والعطش والأسهار والأخطار والميتات التي قاساها (٢كور ١١: ٢٣–٢٧)، بل اختبر أيضًا كيف أنّ اليهود واليونانيين قادرون على أن يستخفّوا بكرازته عن المسيح المصلوب. فكثير من اليهود كانوا ينتظرون آيةً، أي علامةً عجائبية، من الله، لذا أتى موت يسوع الناصري كمجرم على الخشبة، إذا جاز التعبير، «صغيرًا» جدًّا بالنسبة إلى ما كانوا يتوقّعونه من أعمال «عظيمة» سيقوم الله بها. أمّا اليونانيون محبّو الفلسفة فما كانوا يجدون في بشارة بولس عن الخلاص الصائر بإنسانٍ يموت على الصليب إلاّ مجرّد غباء لا يتناسب ومستواهم العقلي. بيد أنّ الرسول ما كان ليعرف سبيلاً آخر يتحقّق الخلاص وتنحلّ اللعنة وتسود الحياة بواسطته إلا موت يسوع على الصليب. ولا يدّل على هذا نقده الشديد لردّتي الفعل، اليهودية واليونانية، على أنجيله فحسب، بل صراعه مع المسيحيين المتهوّدين الذين راحوا يحاولون إقناع بعض من بشّرهم هو من الأمم بأن الإيمان بموت الرب وقيامته غير كاف وأنّ على هؤلاء أن يصبحوا يهودًا، أي أن يختتنوا، ليضمنوا الخلاص. بولس يصف هؤلاء المتهوّدين بأنّهم «أعداء

الإنجيل

(يوحنا ٣: ١٣–١٧)

قال الربُّ لم يصعَدْ أحدٌ إلى السماءِ إلاّ الذي نزلَ منَ السماءِ ابنُ البشرِ الذي هو في السماءِ* وكما رفعَ موسى الحيَّةَ في البريَّةِ هكذا ينبغي أن يُرفعَ ابنُ البشر* لكي لا يهلكَ كلُّ مَنْ يؤمِنُ بهِ بل تكونُ لهُ الحياةُ الأبديَّة* لأنَّهُ هكذا أحبَّ اللهُ العالمَ حتى بَذَلَ ابنَهُ الوحيدَ لِكَي لا يهلِكَ كلُّ مَن يؤمنُ به بل تكونُ لهُ الحياة الأبديَّةُ* فإنَّهُ لم يرسِل اللهُ ابنَهُ الوحيدَ إلى العالم ليدينَ العالمَ بل ليُخلَّصَ بهِ العالمُ.

تأمل

«لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو ٣:١٧).

كثيرون من المتهاملين الغارقين في الخطايا يبالغون في موضوع محبة الله للبشر ويقولون لا يوجد جحيم ولا يوجد عقاب. يغفر الله الخطايا كلها. لقد أسكتهم أحد الحكماء بقوله: «لا تقل محبة الله للبشر كبيرة. سوف يشفق على كثرة خطايانا لأن غضبه لا يقلّ عن شفقته وسوف ينزل على الخطأة»(سيراخ ٥:٦).

«وأيضًا كما هي كبيرة رحمته كذلك هو توبيخه» (سيراخ ١٦:١٥). كل واحد سوف يجني نتيجة أعماله.

لنسمع ما يقوله النبي والرسول: «لأنك سوف تجازي كل واحد حسب أعماله» (مز ٦٢:١٢) «الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله» (رو ٢:٦).

ومع ذلك تبقى محبة الله كبيرة لأن الله قسم الزمن إلى قسمين: الزمن الحاضر والزمن الآتي. وضع في الأول الجهادات وفي الآخر يوزع الجوائز. هذا ما يدّل على محبّته للبشر.كيف؟ لقد اقترفنا خطايا كثيرة بالشرور، منذ الطفولة حتى الشيخوخة، ولم يدنّا على واحدة منها بل غفرها بمعمودية الولادة الجديدة وأعطانا الصلاح والقداسة.

ماذا يحصل بعد ذلك؟ الذي غُفرت له خطاياه ويتناول الأسرار المقدَّسة هل يعود يسقط في خطايا كثيرة؟ طبعًا هذا يستحق عقابًا أشدّ، لأن العقاب لا يساوي السقطة بل يكون أشدّ لأننا قد تدرّبنا قد تجدّدنا ونحن نسقط من جديد! هذا ما يقوله الرسول بولس: «من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقابًا أشد تظنون انه يحسب مستحقًا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدّس به دنسًا وازدرى بروح النعمة» (عب ١٠:٢٨-٢٩). مثل هذا الإنسان يستحق عقابًا أشدّ.

صليب المسيح» (في ٣:٨)، لأنّهم لا يدركون نهائية الخلاص الذي حققه يسوع على الصليب بموته أو يزوّرون معنى هذا الخلاص خوفًا من اضطهاد الآخرين لهم (راجع غلا ٥:١١ و٦:١٢). إزاء هذه العثرات التي واجهته من هنا وهناك طوال فترة كرازته، بقي بولس ثابتًا في إيمانه بفعاليّة إنجيل المصلوب، منتبهًا ألاّ يفتخر إلاّ بصليب الربّ (غلا ٦:١٤)، صالبًا جسده (غلا ٥: ٢٤) ومعطيًا ذاته في هذا قدوةً للمؤمنين (في ٣:١٧)، لأنه كان يعرف أنّ أي طريق آخر غير الصليب ما كان ليوصله إلى القيامة التي كان، في كلّ لحظة، يتوق إليها (في ٣:١١).

الصليب في الليتورجيا

«إننا نحن المؤمنين نسجد لك ونعظمك، أيها الصليب المثلّث الغبطة والكلّي الوقار، مبتهجين برفعك الإلهي، لكن بما انك ظَفَرٌ وسلاحٌ لا يُحارب، أحرسْ وظلّلْ بنعمتك الهاتفين إليك: افرح يا عودًا مغبّطًا» (قنداق قانون الصليب الكريم).

يفتتح عيد ميلاد والدة الإله في الثامن من أيلول سلسلة الأعياد السيديَّة المختصة بوالدة الإله وبالرب يسوع، الموزعة على السنة الطقسيَّة التي تبتدئ كل عام في الأول من أيلول (رأس السنة الكنسيَّة أو الطقسيَّة). يعلن عيد مولد العذراء عن بدء المرحلة الأخيرة من تحقيق الخلاص الموعود به من الله للبشر، هذا الخلاص الذي حققه الرب يسوع على الصليب حيث انتصر على الشرير، «ووطئ الموت بالموت». لذلك نحتفل بعيد رفع الصليب المقدَّس بعد الاحتفال بمولد العذراء، في الرابع عشر من أيلول، مؤكدين إيماننا بالخلاص الحاصل عبر الصليب.

عيد رفع الصليب المقدّس هو احتفالٌ بذكرى وجود صليب الرب الضائع على يد الملكة هيلانة، أم الملك قسطنطين، عام ٣٢٥. إلاّ ان فحوى الصلوات المرنمة في هذا اليوم تُمجِّد الخلاص المُعطى لنا مجانًا بواسطة الخشبة التي كانت علامة للذل والموت قديمًا: «افرح أيها الصليب الحامل الحياة، ظفر العبادة الحسنة الذي لا يقهر، يا باب الفردوس وثبات المؤمنين وسور الكنيسة، الذي به تلاشى الفساد وبطل، وابتُلعت قوة الموت، وارتقينا من الأرض إلى السماويات. أنت السلاح الذي لا يحارب، ومقاوم الشياطين، بما انك مجد الشهداء والأبرار، وزينتهم بالحقيقة، وميناء الخلاص، المانح العالم الرحمة العظمى» (من صلاة الغروب). حتى ان القراءة الإنجيلية لهذا اليوم ليست مجرد ذكر لأهميَّة الصليب وحمله من قِبَلْ المؤمنين، إنما هي مأخوذة من إنجيل القديس يوحنا (إصحاح ١٩) حيث الكلام عن حكم الشعب وبيلاطس على يسوع بالصليب، وصلب يسوع وموته على الصليب.

تكريم الكنيسة للصليب ليس تكريمًا لمجرد خشبة إنما هو تكريم لمن سُمِّر عليه، واعتراف بالخلاص الناشئ بواسطته: «أيها المحب البشر، إننا نسجد لعود صليبك، لأنك سُمِّرتَ عليه يا حياة الكل، وفتحت الفردوس يا مخلّص اللّص...» (من صلاة السحر).

لقد حوّل الرب يسوع آلة العذاب والذل، الصليب، إلى نبع للحياة عندما منحنا الحياة الجديدة بواسطته. لقد كانت الشجرة قديمًا سببًا لسقوط الإنسان، والآن صار الصليب «الغرس الحامل الحياة». لذلك رتبت الكنيسة تذكارًا آخر للصليب في الأحد الثالث من الصوم لتذكيرنا بالثمار الكبيرة الناتجة عن الصليب: «تقدّموا فاستقوا مياهًا لا تفرغ، جارية من جداول نِعَمِ

الصليب، إذ نعاين أمامنا العود المقدَّس موضوعًا، الذي هو ينبوع المواهب المرتوي والمفعَم من الدم والماء الجاريين من سيد الكل الذي رُفع بمشيئته ورفع البشر» (من صلاة سحر الأحد الثالث من الصوم).

في تذكار رفع الصليب والأحد الثالث من الصوم يُقام زياح بالورود، وفي وسطها الصليب المقدَّس، ويُسجد للصليب وتوزع الورود على المؤمنين.

آخر أعياد الصليب في السنة الطقسية يقع في الأول من آب وهو معروف بعيد «تزييح الصليب الكريم المحيي»، ويذكر السنكسار «انه بسبب الأمراض التي تحصل غالبًا في شهر آب، جرت العادة قديمًا في القسطنطينية أن يُطاف في هذه المدة بعود الصليب الكريم في أزقتها وشوارعها لتقديس المكان ورفع الأمراض». في هذا اليوم نرتل: «لنصافح صليبك الكريم بما انه حرزٌ للكل وينبوع للتقديس، لأنه يخمد الآلام ويزيل الأسقام وينقذ المرضى من صنوف الأوجاع ويفيض مجاري العجائب كلجَّةٍ، للساجدين والموقرين رسمه بإيمان» (صلاة غروب العيد).

أهميَّة الصليب تبرز أيضًا في الحياة الليتورجية اليومية في الكنيسة. فقد خصصت الكنيسة يومي الأربعاء والجمعة للصليب المقدَّس. الأربعاء يوم تسليم يهوذا للرب، والجمعة يوم صلب الرب. في هذين اليومين، وعلى مدار السنة، تتمحور الصلوات في الغروب والسحر حول موضوع الصليب وتمجيده والخلاص الآتي به: «إن عود المعصيَّة أنبت الموت للعالم، وأما عود الصليب فقد أنبت له الحياة وعدم البلى. فلذلك نسجد للرب المصلوب. فليرتسم علينا نور وجهك يا رب» (غروب يوم الأربعاء من أسبوع اللحن الثالث).

«يا صليب المسيح، يا رجاء المسيحيين ومرشد الضالين، ميناء المكتنفين بالشتاء، الغلبة في الحروب وصيانة المسكونة، طبيب المرضى وقيامة الأموات، ارحمنا».

مدرسة الموسيقى الكنسية

تعلن مدرسة الموسيقى الكنسيِّة في الأبرشية عن بدء التسجيل للعام الدراسي ٢٠٠١-٢٠٠٢. فعلى الراغبين في دراسة الموسيقى الكنسيِّة الاتصال على الأرقام ٢٠٠٦١٢-٠١ أو ٢٠٠٦١٣-٠١ لتسجيل أسمائهم.

تمتدّ الدراسة على مدى ثلاث سنوات. في السنة الأولى يتعلّم الطالب قواعد قراءة العلامات الموسيقيّة مع بعض التراتيل، وفي السنة الثانية أصول الألحان الثمانية، وفي السنة الثالثة تطبيقات على الألحان الثمانية بالإضافة إلى الترتيل باليونانية. في نهاية الدراسة يؤهّل الطالب للدخول في جوقة المدرسة.

تبدأ الدروس مساء الثلاثاء ٩ تشرين الأول ٢٠٠١ في تمام الساعة السادسة في مدرسة زهرة الاحسان.

تُعلن المدرسة أيضًا عن إنشاء جوقة للفتيات، فلمن ترغب الإنتساب إلى هذه الجوقة، من غير الطالبات في المدرسة، الاتصال على الأرقام المذكورة أعلاه للتسجيل، على أن تكون قد سبقت وأتمّت دراسة الموسيقى الكنسيِّة. تبدأ التمارين مساء الثلاثاء ٩ تشرين الأول ٢٠٠١ في تمام الساعة السابعة في مدرسة زهرة الاحسان.

رسم التسجيل ٣٠,٠٠٠ ل.ل. فصليًا (٦٠,٠٠٠ ل.ل. سنويًّا).

ومع كل ذلك فتحت لذلك الإنسان أبوابًا للتوبة وأعطيت له طرقًا كثيرة ليغسل خطاياه إن أراد لذلك سبيلاً. فانظر كم هي كثيرة البراهين عن محبة الله لأنه يغفر عن طريق النعمة وبعدها لا يعاقب الخاطئ المستحق العقاب بل يعطيه فرصة للتوبة لكل ذلك قال المسيح لنيقوديموس: «لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. حضور المسيح إثنان. حصل الأول لا ليفحص ما قد فعلناه بل ليغفر. أما الثاني فسوف يكون لا ليسامح بل ليحكم.

ومع ذلك المجيء الأول كان دينونة بالمعنى الدقيق. لماذا؟ لأنه قبل المجيء الأول بالجسد كان هناك ناموس غير مكتوب، أنبياء ثم ناموس مكتوب، تعليم وعود كثيرة عقابات وغيرها مما كان يستطيع أن يصلح الشر. ولذلك كان من المنتظر أن يطلب جوابًا عن كل ذلك. ولم يطلب ولم يحاكم ولم يدن بسبب محبته للبشر. بل يسامح إلى حدّ معيّن. فلو دان لما بقي أحد حيًّا «لأن الكل أخطأوا وأعوزهم مجد الرب» (رو ٣:٢٣). أرأيت كم هي كبيرة محبته للبشر؟.

القديس

يوحنا الذهبي الفم